دراسة كتاب "في مسيرة الحياة" لسيد أبي الحسن الندوي ومنهجه في السيرة الذاتية

***أ-د- حافظ شفيق الرحمن**

****حافظ غلام مجتبى**

Abstract:

Maulania Sayyid Abul Hassan Ali Nadwi had an outstanding position, not only in india but also in the Islamic world particularly, in the Arab world. Maulana Abul Hassan Ali Nadwi was a great socio-religious reformer of the 20th century. His long intellectual and political career, which had influenced the entire Muslim world, deserves special consideration. It is therefore, worthwhile to be acquainted with his extensive work on vast range of subject, many of which were reliable diagnosis of the multifarious problems the Ummah was facing, and is still facing. His writings which are almost 50 in number revive the faith in the hearts of the millions of the Muslims. Several factors distinguished Maulana Sayyid Abul Hasan Ali Nadwi from his contemporaries besides his educational attainments. In this research article an attempt has been mad to highlight his prominent contribution in art of Autobiography in Arabic literature and Islamic History.

Key words: life of Nadwi, Art of Autobiography, Educational attainments

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمّد ن الأمين صلى الله عليه وسلم- المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد!

لاريب أن الندوي يدرك ما وراء فن السيرة الذاتية وكتابتها من عرض النموذج القدوة الذي يجذب القرآء ويؤثر فيهم ويحركهم نحو المثل الأعلى، ولله المثل الأعلى، فهناك دروس وتجارب ووقائع قد يكون لها نظير في المجتمع والبيئة، وقد يتوقع حدوثها، وهو ما يغني التجربة الإنسانية ويثريها ويهيئها للتفاعل الإيجابي وإفادة المجتمع الإسلامي ومن يعيشون فيه.

ولعل هذا ما جعل الشيخ علي الطنطاوي يرى في سيرة الندوي كتاب تاريخ، وكتاب أدب، وكتاب علم، وسجلاً اجتماعياً، فيه وصف عادات الناس وأوضاعهم في الهند، وكان مما قرأت عن المكان

* الأستاذ ،قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية بماولفور

** الباحث بمرحلة الدكتوراة ،قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية بماولفور

الذي نشأ فيه أنه بني على طراز الكعبة لطولها وعرضها، إلا لأنه نقص من ارتفاعها عدة أنامل تأدباً معها واحتراماً لها، وسقيت قواعده بماء زمزم. ([1])

ثم إن القارئ يعلم عن الكاتب من سيرته ما قد يغيب عمن يترجم له من المؤلفين والباحثين، وخاصة ما يتعلق بالأمور الدقيقة والمفارقات التي تحدث في حياة الكاتب ولا تجد طريقها للنشر، ومنها على سبيل المثال قصة مهمة عن حبه للكتب ذات دلالة في طفولته، حيث كان في السادسة من عمره وتوافر معه قرشان فغدا إلى سوق "أمين أباد"، ودخل إحدى الصيدليات ودفع النقود للصيدلي وطلب منه كتاباً، وتفطن الرجل أن الطفل ساذج بريء من أسرة كريمة، فأعطاه فهرس الأدوية بالأردية وردّ معه النقود، فعاد فرحاً مسروراً، وزين مكتبته الصغيرة بهذا الكتاب مع كتب ورسائل. وكان والده يستغني عنها ويتركها ([2])، ومنها أيضاً أنه كان يحب الورود أيضاً مثلما يحب الكتب، ومنها كذلك ما يتعلق بحركة الخلافة وتأثيرها على الهند ومثقفيها، وكانت لكنهؤ تستقبل الزعماء: الشيخ عبد الباري الفرنجي محلي، وغاندي، ومحمد علي وشوكت علي، وأناشيد الخلافة يُغنّي بها في كل مناسبة، وأن الإنجليز قد انتهى حكمهم بعد إعلان المقاطعة لبضائع الإنجليز، ويلي ذلك حديث مستفيض عن إلغاء الخلافة على يد "اللورد كرزن"، وإعلان استقلال تركيا العثمانية. ([3])

موضوعية:

موضوعية التناول خطوة أساسية في منهج الندوي، والموضوعية تعني الصدق والالتزام بالحقائق، وذكر ما يعرفه دون زيادة أو نقصان، فالرجل ينتسب إلى أسرة عريقة ذات أرومة عربية، ويضع الشيخ علي الطنطاوي أسرة أبي الحسن ضمن العرب الأقحاح الذين عرفوا بألقاب فارسية وأعجمية مثل: التبريزي، الشيرازي، القزويني، الجرجاني، الهمداني، الرازي، الطبري، الشهرستاني، النيسابوري، الإسفراييني، الأصفهاني....([4])، ومع ذلك فإن الندوي يشير إلى أنه نبغ في الأسرة أعلام في

1. الندوي: أبو الحسن علي الحسني، **في مسيرة الحياة**، دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى، 1987م،1/9.
2. الندوي: أبو الحسن علي الحسني، **في مسيرة الحياة**،57/1.
3. المصدر السابق، 64/1.
4. المصدر السابق، 10/1.

مختلف العلوم والآداب، ولكنه لا يجعل ذلك سبيلاً إلى إضفاء نوع من الحصانة على أسرته، فيذكر أنه لا تُستثنى أسرة من الأسر البشرية من قانون الازدهار والسقوط، ويستشهد على ذلك بآيات القرآن الكريم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ([5])، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَبِه﴾([6])، وفي السياق الموضوعي يؤكد أنه تبقى دائماً خصائص وميزات متوارثة للأسرة الحسنية، في مقدمتها التمسك بعقيدة التوحيد الخالص، والبعد عن الشركيات، والبدع والمحدثات، مصونة من تأثير العقائد الشيعية، فقد تشيع عدد كبير من الأسر الأرستقراطية، كما يذكر الندوي، لرغبتها في الإقطاعات التي تقطعها الأسرة الشيعية الحاكمة في الولاية الشمالية، أو بتأثير المصاهرة، وقد حفظ الله الأسرة الحسنية الطيبة من هذه المساومة. ([7]) ويستشهد في موضوعية بقول الشاعر عبد الله بن معاوية:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا ([8])

ثم إنه يفسر بعض المواقف التي لا تتعارض مع الوطنية مثل موقفه عام 1929م حين تسلم شهادة التخرج من حاكم إنجليزي للولاية السير "مالكولم هيلي" وكانت صدمة له، ولكن كما يقول الندوي: ينبغي أن يحكم على كل شيء باعتبار المكان والزمان، ويوزن بميزان عصره وبيئته، فلم يكن ذلك معيباً في تلك البيئة وذلك العصر. ([9])

ومن معالم موضوعيته أنه يتحدث عن والده وزواجه الثاني من والدته السيدة خير النساء بنت السيد ضياء النبي معلم الوالد وأستاذه، وذلك بعد وفاة زوجه الأولى عام 1901م، ويذكر أن السيد ضياء النبي قد تمهل عند ما عرف برغبته في خطبتها مع أنه من بيت فقير، وفضله على أحد أقاربه الأغنياء الذي كان تقدم لخطبتها، وكانت هناك رؤى وبشارات حتى تم الزواج عام 1904م،

5. سورة النجم، الآية: 30.
6. سورة النسآء، الآية: 123.
7. الندوي: أبو الحسن علي الحسني، **في مسيرة الحياة**، 34/1.
8. ابن عبد ربه: أبو عمر، شهاب الدين، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1404هـ، 194/2.
9. الندوي: أبو الحسن علي الحسني، **في مسيرة الحياة**، 88/1.

وولدت أخته الكبرى السيدة أمة العزيز عام 1906م وإخوته الأعزة الفضلاء، كما يشير إلى سيرة جده السيد فخر الدين بن عبد العلي الحسني، ثم كانت ولادته عام 1914م بعد ولادة أخته الثانية أمة الله عائشة عام 1907م، كما يرصد عهد الطفولة في "تكية"، وبعض الأحداث والشخصيات، ومنها الفيضان الهائل عام 1915م، ويعتز بشخصية خاله الشفوق السيد عبدالله، واتساقاً مع منهجه في الموضوعية والتزام الصدق من الإشارة إلى بعض الخصومات في الأسرة وهو في مرحلة الصبا والقضاء عليها بجهود والده. ([10])

إيجاز:

مراعاة الإيجاز والإطناب، كل في موضعه، وهذا ما طبقه الندوي في كتابة السيرة من خلال صياغة ناعمة دقيقة تتحرى المعاني المقصودة دون غموض أو إبهام ودون ثرثرة غير مفيدة أو إيجاز يخل بالمعنى، ويفسر الندوي ما يراه القراء من إطالة وإطناب أحياناً بالفرق الطبيعي بين كتب التاريخ والتراجم، وكتب الحياة الشخصية، فالمؤلف في كتب التاريخ والتراجم يكون ممثلاً عن تلك الشخصيات التي يكتب عنها ومحامياً لها ومدافعاً عنها ومتقيداً بكثير من الالتزامات فيها، ويكون هو حراً طليقاً في الكتابة عن نفسه، وممثلاً لذاته، ومتحدثاً عنها، فلا يصح إذن، أن تقاس محتويات كتب الحياة الشخصية بمقياس الاتزان والتناسب الدقيق الذي تقاس به محتويات كتب التاريخ والتراجم، فالواجب أن يسمح للمؤلف عن نفسه أن يستخدم الإيجاز أو الإطناب والإجمال أو التفصيل، حسب وجهة نظره، وحسب انطباعاته في حياته واعتباره للأهمية والخطورة لشيء دون آخر، وإلا فسوف ينعدم الفارق المطلوب بين الكتاب عن النفس والكتاب عن الغير. ([11])

ويضرب مثلاً حول الإيجاز والإطناب بوفرة المادة التاريخية عن الأسرة الحسنية القطبية الكريمة التي ينتسب إليها وتعرف بشرف أصلها وتنجب نوابغ في العلم والفضل والشخصيات المرموقة، ويرى أن ذلك يكفيه مئونة الإطالة والإفاضة، ويكتفي بنبذة ويحيل على الكتب الموسعة التي تتناول تراجم أعيانها من الكبار والعظام.([12]) وقد ضمن الندوي سيرته الذاتية عدداً من الرسائل والوثائق التي

10. الندوي: أبو الحسن علي الحسني، **في مسيرة الحياة**،1/33-42.
11. المصدر السابق، 1/25.
12. المصدر السابق، 1/27.

تبادلها مع الرؤساء والملوك وغيرهم وردود بعضهم عليها، وهي تحوي تناولاً لقضايا مهمة على مستوى الهند والعالم العربي والمسلمين بصفة عامة. ([13])

الصورة العقلية:

يتكئ منهج الندوي على أن كتابة السيرة الذاتية مسألة مهمة للغاية، إذ تبين للقارئ ملامح الصورة العقلية للكاتب وطريقة تفكيره ومراحل التطور التي مرت بها هذه الطريقة وتلك العقلية، فضلاً عن معرفة تاريخ الإنشاء والكتابة والتأليف في حياة الكاتب، وأهم الأحداث والوقائع والحركات والدعوات في عهده، وتتبع آرائه وأفكاره ومشاهداته وانطباعاته، ودعوته ومنهجه بصورة مختصرة، وعرض النقاط الأساسية الرئيسة من كتاباته ومؤلفاته وتقديم مقتطفات مهمة منها، وهي منشورة مبعثرة في كثير من مقالاته ومحاضراته ومؤلفاته، التي بلغت أكثر من مائة مؤلف، ليس من اليسير أن يقف عليها من يريد الاطلاع على آرائه فيها في وقت واحد. ([14])

وقد سجل الندوي في الجزء الثالث رسالة من أحد محبيه وهو الأستاذ سهيل أحمد – نزيل أمريكا – يعرض فيها خلاصة جيدة لتجربة حياة الندوي وعصارة فكره ودراساته، وذكر فيها ما جرى في أحد مجالس شيكاغو التي تحدث فيها الندوي وأعرب فيها عن آرائه وأفكاره، وتشتمل على عرض سليم لأفكاره وتصوراته ودراساته، وقد ختم الندوي بهذه الرسالة رحلاته الطويلة في القارات الثلاث، الرسالة مهمة وتتضمن وعياً بالواقع الخطير الذي يعيشه المسلمون في أتون المؤامرات الخارجية التي لا تتوقف، وهي رسالة مسهبة وفيها كثير من أفكار الندوي المهمة. ([15])

ما سبق يوضح منهج الندوي في كتابة السيرة الذاتية في خطوطه العريضة، ويجعل منها وثيقة حية وقوية تسجل حياة رجل نشأ في أسرة عريقة تتصل في نسبها إلى الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه، وجاء أول أجدادها إلى الهند في القرن السابع الهجري.

وكانت كتابة هذه السيرة نموذجاً تحتذيه الأجيال الجديدة من الباحثين والمحبين لأمتهم الإسلامية والمدافعين عن عقيدة الإسلام، لقد كتبها الندوي وهو في ظروف طبية فرضت عليه كتابتها لتكون

13. المصدر السابق، 98/3.
14. الندوي: أبو الحسن علي الحسني، **في مسيرة الحياة**، 25/1.
15. المصدر السابق، 277/3.

تذكيراً لنفسه أولاً بنعم الله التي تستوجب الحمد والشكر، والاعتبار بالحوادث والانتفاع بالدروس وتجارب الحياة، وإشراك القراء في استخراج النتائج الصحيحة من الحوادث الماضية والانتفاع بها، والاعتبار من الأخطاء والعثرات فيبتعدون عنها، ومشاهدة آيات الله في الأنفس والآفاق ونعمه على عباده وخلقه فيتعرضون لها ويجربونها ويستجلبونها بالرجاء والدعاء، والسعيد من وعظ بغيره.([16])

يقول الشيخ علي الطنطاوي: إننا يقصد المسلمين حكمنا الهند ألف عام، وتاريخ الإسلام في الهند يعدل ربع التاريخ العام، وخلفنا في الهند أضعاف ما خلفناه في الأندلس، وفي كل شبر من الهند دم زكي أرقناه وحضارة خيرة وشيت بالعلم والعدل والمكرمات والبطولات والمعاهد والمدارس، وهناك آثار تفوق بجمالها الحمراء، وحسبكم "تاج محل". ([17])

دراسة كتاب "في مسيرة الحياة" لسيد أبي الحسن علي الندوي:

وكتب تقديم الكتاب الشيخ علي الطنطاوي أديب العربية الكبير ويقول: "قد شرفني أن أكتب مقدمة الكتاب "في مسيرة الحياة" لسيد أبي الحسن علي الندوي، وقال فاذا اجتمع العلم والأدب مع الحسب والنسب، فتلك الغاية التي لا غاية بعدها.

أما بالنسبه إلى كتاب الشيخ أبي الحسن يقول الطنطاوي عنها، " كتاب الأستاذ أبي الحسن ليس سرداً لأحداث حياته، ولكنه كتاب تاريخ، وكتاب أدب فيه وصف للأمكنة كأنك تراها، وكتاب علم فيه ذكر العلماء ومجالس العلم، وسجل اجتماعي فيه وصف عادات الناس وأوضاعهم في الهند، وكان مما قرأت عن المكان الذي نشأ فيه أنه بني علي طراز الكعبة بطولها وعرضها، الا أنه نقص من ارتفاعها عدة أنامل تأدبا معها واحتراما لها، وسيقت قواعده بمآء زمزم". ([18])

سبب تحريض لكتابة في مسيرة الحياة:

قد كتب المؤلف تقديم هذا الكتاب بقلمه وبدأ التقديم بحمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب المؤلف الكتب والرسائل على موضوعات عديدة منها

16. المصدر السابق، 25/1، 26.
17. المصدر السابق، 8/1.
18. الندوي: أبو الحسن علي الحسني، **في مسيرة الحياة**، 1/9.

العقائد، العبادات، تفسير الآيات القرآنية والسيرة النبوية المعطرة، التاريخ والسير والتراجم، وكتب السيرة الذاتية أيضاً، أما كتابه الشهير في موضوع السيرة الذاتية وهي "في مسيرة الحياة" التي تشتمل على ثلاثة أجزاء. قد ذكر المؤلف سبب التأليف لهذا الكتاب ويقول في تقديم الكتاب: "هناك أسباب عديدة، منها تلك الكلمة المأثورة الحكيمة: ﴿ما هلك امرؤ عرف قدره﴾ التي كنت في ضؤئها استصغر نفسي مجال التنوية بها أتضاءل أمام الذين كتب في سيرتهم و تراجمهم، أو تناولوا تقييد المذكرات لحياتهم، فلم أكن يوم سياسيا بارزاً، ولا قائدا محنكا، ولا صاحب شهرة وجاه عريض، أو تربية وإرشاد، ولا نابغة من نوابغ العلم والفن، لم يكن شئي من ذلك حتى يسوغ لي التأليف عن نفسي".

ثم يقول الندوي: "لدي أساب البدء في عمل تأليفي مهم آخر، أن أشرع في الكتابة حول هذا الموضوع، وظهر أمامي جانبان مهمان من جوانب الخير والنفع فيه": إنه باستعادة ذكريات حياتي وأحداثها، والتأمل في صنع الله تعالى بعبده الضعيف أتذكر قول الله تعالى، فأرى تفسيره في حياتي، وهو قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[19]، والسبب الثاني أن هناك كثيرا من المواضيع والأحداث والوقائع والمؤسسات والحركات، والشخصيات والجماعات، وتصوير البيئة والأعراف، و نظام التربية السائد في البيوتات، لا يتيسر الحديث عنها إلا في تضاعيف قصة حياتي ومذكرات رحلة عمري، فإننا لو ألقينا الضوء على كل واحد منها بصورة منفردة مستقلة لأحتاج ذلك إلى مجلدات مفردة.

حينما يتحدث الندوي عن مجتمع عصره ومدنيته، ونظام التربية فيه وحياة مصر كلها في عهده وأيضا البيئة الدينية الهندية الذي عاش فيها يقول: "فقد كتب في هذ النصف من القرن الحالي عشرات من الكتب في قصص الحياة الشخصية في أوربا وفي الهند أيضا، وصادفني ثلاثة أمثلة، فقد كتبت في هذا النصف من القرن الحالي عشرات من الكتب في قصص الحياة الشخصية في أوروبا وفي الهند أيضاً، وصادفتني ثلاثة أمثلة لأفراد الطبقة العلمية الدينية ومشايخي وأساتذتي المؤقرين، أحدهم شيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني رحم الله تعالى الذي ألف كتابه "نقشِ حيات"

19. سورة فصلت، الآية: 53.

وكان قد بدأه بقصة حياته، لكن أنهى هذه القصة للأسف على صفحة 130، و بدأ يكتب فيما بعد قصة جهاد التحرير الذي كان لشيخه و مرشده شيخ الهند محمود حسن الديو بندي فيه القدح المعلي والدور القيادي العظيم، وانتهى المجلد الثاني من الكتاب في تفصيل هذه الحكاية وبيان أسبابها و عواملها و خلفياتها".

هناك فرق بين كتب التاريخ والتراجم وكتب الحياة الشخصية، و باستخدام الإيجاز أو الإطناب والإجمال أو التفصيل وبمقياس الاتزان والتناسب الدقيق كما يقول الندوي في مقدمة كتابه "في مسيرة الحياة": "سوف يجد القرآء الكرام في محتويات الكتاب اطنابا وإطالة أحيانا، ولكن الذي أراه أنه لابد من الاعتراف بالفرق الطبيعي بين كتب التاريخ والتراجم وكتب الحياة الشخصية، إذ أن المؤلف في كتب التاريخ والتراجم يكون ممثلا عن تلك الشخصيات التي يكتب عنها ومحاميا لها ومدافعا عنها، فلا يصح إذن أن تقاس محتويات كتب الحياة الشخصية بمقياس الاتزان والتناسب الدقيق، الذي تقاس به محتويات كتب التاريخ والتراجم فلواجب أن يسمح للمؤلف عن نفسه أن يستخدم الايجاز أو الإطناب والإجمال أو التفصيل، حسب وجهة نظره، وحسب انطباعاته في حياته للأهمية والخطورة لشيء دون آخر، وإلا فسوف ينعدم الفارق المطلوب بين الكتاب عن النفس والكتاب عن الغير.

ويشكر الندوي في نهاية مقدمة هذا الكتاب لسيد سلمان الحسيني الندوي أستاذ دار العلوم ندوة العلماء على أنه وفر وقتا وجهدا للقيام بمهمة نقل الكتاب من اللغة الأردية التي ألف فيها إلى اللغة العربية الفصيحة رغم كثرة شواغله و قيامه بمهمة التدريس والدعوة. وفي التالي منتخبات من الكتاب التي يثير الإنسان الكسيل إلى عمل وجهد ونشاطة ومداومة.

الأسرة، والوطن، والبيئة، وآثار وانطباعات عن عهد الطفولة:

وتحدث الندوي عن النسب وعن الأسرة وتاريخه القديم وميزات متوارثه وعن عهد الطفولة. وقال: "أما نسبي فهو ينتهي إلى محمد ذي النفس الزكية، بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى، بن الإمام الحسن السبط الأكبر، بن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما "، ولذلك اشتهرت هذه الأسرة بالحسنية.

وأول من هاجر إلى الهند من أجداد هذه الأسرة هو الأمير السيد قطب الدين محمد المدني، وقدم إلى الهند عن طريق بغداد وغزنة في فتنة المغول في أوائل القرن السابع الهجري مع جماعة كبيرة من أصحابه، وتولى مشيخة الإسلام في دهلي مدة من الزمان ،ثم خرج مجاهدا في سبيل الله.

ثم أن هذه الأسرة لم تزل منذ أول يومها إلى اخر عهدها في وضع ديني علمي اجتماعي موحد ويتخيل أحيانا أنه لم يولد فيها إلا وليّ من الأولياء الكاملين أو عبقري من العباقرة النابغين، وأفراد غير عاديين، وبالجملة فإن الأسرة كلها سلسلة ذهبية متصلة الحلقات من النبوغ والكمال.

يقدّر من دراسة تاريخ الأسرة و كتب التراجم والأنساب المعتمدة عليها أن هذه الأسرة ظلت على اتصال متين بأي وجه من الوجوه بالشريعة الطريقة كما يقولون، أي بالناحيتين العلمية المحضة والروحية والسلوكية، فاذا كان يظهر فيها العلماء الراسخون في جانب، يظهر المشايخ الروحيون في جانب آخر، ومنهم من وصلت سلسلته إلى الأصقاع النائية البعيدة، وتعلق بها كبار المشايخ الربانيين والشيوخ المربين، كما أن الأفراد هذه الأسرة (الذين كانوا يظمأون إلى تزكية النفس والتكميل الروحي)لم يترددو لحظة في الرجوع إلى مشايخ عصرهم من أصحاب الفضل والكمال والعقيدة السنية الصحيحة والدعاة إلى الالتزام بالسنة، فاستفادوا منهم وتربوا على أيديهم وجمعوا بين تحصيل العلم و تزكية الروح، ولم يمنعهم من ذلك أبدا.

ويجب هنا أن نشير إلى حقيقة، وهي أن أسرتنا كانت تنقسم في الأصل إلى فرعين، كان أحدهما نازلا في موطن آبائه القديم "دارة الشيخ علم الله" وكان الفرع الثاني انتقل بعد شهادة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد على دعوة من النواب وزير الدولة إلى طونك، وقد كان فيه مع أفراد الأسرة الذين كانت لهم صلة قريبة بالإمام الشهيد والبقية الباقية من جماعة المجاهدين والمتصلين بهم، الذين لجأوا إلى طونك قادمين من ساحة الجهاد أو السند أو بعض المناطق الشرقية، وسمي الحي الذي نزلوا فيه لأجل ذلك ب "القافلة".

بعض الأحداث المهمة في الطفولة، والإقامة بلكهنؤ، وعالم الكتب، وحركة الخلافة:

يبين الندوي ذكريات طفولته يذكر عن الشخصيات الذان حاملا شهادات من خارج البلاد، فهو يقول: " الشيئ الذي استرعى انتباهي ووعته ذاكرتي منذ أيام صباي المبكرة، هو ذكرى شخصية ابن خالتي المحامي السيد محمد أحمد الحسني، كان قد رجع عام 1915م من انكلترا حاملا شهادة

الحقوق من لندن، وشهادة الماجستير في الفلسفة من جامعة "أدنبره" وقد استقبله على مقدمه في هذه القرية الصغيرة والأسرة المحدودة استقبالا فخماً رائعا، واهتم كبيراً، ولعله لم يكن هناك في تلك الأيام في طول هذه المديرية وعرضها لاسيما في أسر الأشراف والاقطاعيين المسلمين من هذا الامتياز.

الشباب الثاني الذي سافر من أسرتنا، بل من بيتنا بعد الأخ السيد محمد أحمد خارج البلاد، كان هو ابن خالي السيد سراج النبي الحسني الذي رحل عام 1921م إلى أمريكا، ولم يكن الطلاب في الهند في تلك الفترة الزمنية يقصدون الولايات الأمريكية المتحدة إلا نادرا، إذ أنه لم تكن الشهادات المعترف بها في جامعات الهند إلا شهادات جامعات إنكلترا وكلياتها فهي الكفيلة بالحصول علي الوظائف.

ولم تزل هذه الأسرة أسرة العلماء والمؤلفين، فقد كان الوالد لسيد أبي الحسن الندوي من كبار المؤلفين في عصره، وللبيئة والوراثة تؤثير كبير لا ينكر، لايزال ينتقل هذا التأثير من جيل إلى جيل، ويطبع الصغار والكبار، والبنين والبنات بطابعه في قليل أو كثير فكان الطابع الوراثة، وذوق الوالد وإنهماكه في الكتب كغاشية أوسحابة تغشي المحيط المنزله، وتظل على الأسرة كلها، وقد تجازو هذا التذوق إلى الحب الشديد للقراءة وأدمانها.

أما أكبر شخصية محترمة موقرة في الأسرة حينذاك شخصية السيد خليل الدين، الذي كان يدعوه أبناء إخوته وأخواته وأسباطه وأحفاده، وكان مهيبا وقوراً، وكان في نفس الوقت عطوفا مشفقا، ذكيا فطنا، يحسن أدارة الأمور وتنظيمها، راسخ العقيدة، ملتزما بالمسلك السني الذي تتمسك به الأسرة التزاماً شديداً، وكان ينظر إلى الأسرة لأجله بين الإجلال والاحترام.

وفاة الوالد، دراسة في البيت، بدء دراسة اللغة العربية عند الشيخ خليل بن محمد اليماني، دراسة الأدب الأردي، الوسط والهوايات، تحصيل اللغة العربية والأدب العربي

يذكر الندوي وفاة والده ويقول: "كان اليوم الخامس عشر من جمادي الآخرة عام 1341هـ وكان يوم جمعة الموافق 2 فبراير عام 1923م، وهو اليوم التاريخي الفاصل الذي انقلبت فيه صفحة هذه الفترة الهنيئة من العمر بسرعة، بل انقلبت صفحة تاريخ هذه الأسرة الصغيرة الذهبية، وكان البيت رأساً على عقب، فقد فارق الوالد بعد مرض دام بضع ساعات هذه الحياة العارضة".

ويتحدث الندوي عن والدته أنها كيف ربته؟ وكيف ترعرعه؟ ويذكر الأمور التي لم تكن ترعي والدته شيئا عن مراقبته وتقدمه وتربيته الدينية لأن معروفة في شفقتها وحنانها ويضرب بها المثل، ويقول الندوي: "كانت والدتي لرحلة والد تداريني و تلاطفني وتحن علي أكثر من عامة الأمهات، إلا أنها كانت ذات صرامة وشدة في أمرين، كانت لا تتحمل أبدا التساهل والكسل في الصلاة، فاذا نمت قبل العشاء مثلا فلا بد أن توقظني وتأمرني بالصلاة، ولو كنت في نوم ثقيل،كذلك كانت تصحيني في الفجر وترسلني إلى المسجد، ثم تأمرني بتلاوة القرآن الكريم".

كان أخ الندوي الأكبر يلتزم بأمرين اثنين الزاماً شديدا و يلاحظهما على أبي الحسن: الأول هل صلى الصلوات مع الجماعة أم لاَ وأحيانا بعد عودة من كلية الطب بعد المغرب ثم يسأله هل صليت الظهر والعصر والمغرب؟ فأجيب بالإثبات، فإذا شك حينا في جوابي أمره بأن أصلي هذه الصلوات الثلاثة أمامه، والأمر الثاني أن لا يجالس المستخدمين و حاشية السراي، وكان عددهم كبيراً، ولا يخالطهم، وأن لا يتناول كتاب رواية أو مسرحية من أحد و أقرأه، بل كان هو يختار له الجيد النافع من الكتب من مكتبة الشخصية ويأمره بمطالعتها، وكان أول كتاب ناولنه من هذه الكتب هو كتاب "سيرة خير البشر"، ثم طالع بعد ذلك كتاب "رحمة للعالمين" وكلاهما في السيرة النبوية.

هنا يحدث الندوي عن بدء تعلم اللغة العربية وهو يقول: "بدأ تعليمي للغة العربية في أواخر عام 1924م، ولما عهد بذلك أخي الأكبر إلى الشيخ خليل بن محمد بأن يدرسني العربية، كتب الشيخ الدروس الأولية من الصرف على الدفتر وحفظتها، ثم بدأ بعد أيام بكتابه المختار في المقرر الدراسي عنده".

يحدث الندوي رحلته إلى لاهور و يكتب: "عندما سمعت عمتي زوجة السيد طلحة" بلاهور بخبر نجاحي بامتياز كتبت إلى والدتي تطلب رحلتي إلى لاهور في يوم من أيام يونيو عام 1929م مع أحد أقربائي الكبار الأستاذ السيد إبراهيم الندوي الذي كان يعمل في دار الترجمة في حيدر آباد، وقد كانت لاهور حينئذ أكبر مزكز ثقافي و أدبي وصحافي في شبه القارة الهندية، فكانت تصدر منها عشرات من الصحف الأردية وكانت صحيفة "زميندار" لها الكلمة النافذة والصوت المسموع

كما كانت تصدر منها مجلات أدبية موقرة، وأهم من ذلك كله أنها كانت بلد الشاعر الإسلامي الكبير الدكتور محمد إقبال.

حلقة درس الحديث الشريف بدار العلوم ندوة العلماء:

يقول الندوي: "بعد عودتي من لاهور انخرطت في سلك الطلاب الندويين لدروس الحديث الشريف التي كان يلقبها شيخ الحديث العلامة الشيخ حيدر حسن الطونكي بدار العلوم ندوة العلماء، وابتدأ ذلك من يوليو عام 1929م"، وقرأت على الشيخ الصحيحين: (البخاري ومسلم) وسنن أبي داؤد، وسنن الترمذي حرفا حرفا، و قرأت عليه شيئا من تفسير البيضاوي أيضا، وألقى علينا الشيخ برغبته عدة دروس في المنطق، وأقمت عند الشيخ عامين كاملين في غرفته التي كانت دار الحديث أيضا، وقد كان الشيخ لأجل العلاقات القديمة الوطيدة بين أسرتنا وبين أسرته في طونك وعلاقته الخاصة بوالدي إذ كان هو والوالد تلمذين عزيزين لإمام الحديث في عصره العلامة الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني البهوفالي يحبني ويعطف علي عطف الآباء على الأبناء، وكنت أكيله وشريبه أيضا، وكان حساب مصروفاته ونفقاته كذلك عندي، كما كنت أرافقه في السفر والحضر.

وتقدم الشيخ مسعود علي الندوي أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لندوة العلماء في إحدى جلساتها المنعقدة في 15يوليو 1934م باقتراح تعييني مدرسا بدار العلوم، وسكت أخي على ذلك لكونه أخي الشقيق وأمين عما ندوة العلمآء، ولكن أيده العلامة السيد سليمان الندوي، ووافق عليه جميع الأعضاء، وهكذا قبل الاقتراح، وتم تييني مدرسا علي راتب رمزي، وبدأت العمل بانتظام من أول أغسطس عام 1934م كمدرس للأدب والتفسير.

يقول الندوي: "حضرت دار العلوم بعد أن عينت مدرسا، فأقمت في إحدى غرف البناء الرئيسي لدار العلوم التي كان يقيم فيها الأستاذ مسعود الندوي أيضاً، فكانت حجرتنا لأجل ذلك مسكنا لنا مكتبا لمجلة "الضياء" كذلك، وقد كانت بيننا ألفة قديمة، ومودة راسخة، حتى كأننا أخوان شقيقان أو صديقان حميمان، ونديمان قديمان.

بدء تأليف "سيرة السيد أحمد الشهيد"، مجالس الشيخ الجليل التهانوي، أحداث ورحلات مهمة، الشغف بشعر إقبال:

يحدث الندوي عن بدء تأليف "سيرة السيد أحمد الشهيد": وعن مشاركة في مجالس الشيخ الجليل التهانوي، أيضا يبين عن أحداث ورحلات هامة، واللقاء مع إقبال وعن شعره، وهو يقول: "جآءت فترة مباركة سعيدة تعد في حياتي مفترقا حاسما للطريق، بل بداية لعهد مبارك جديد قدمت أن رسالتي عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بالعربية كانت قد نشرها العلامة السيد رشيد رضا بالقاهرة عام 1931م بعنوان "ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد" ولشدة ما أعجبني وأثر فيّ من الكتابات حول حياة الإمام الشهيد والتعارف على شخصيته هو مذكرة والدي لرحلته في دلهي وما يجاورها من المدن والمراكز الدينية، وكانت محفوظة عندنا في صورة مخطوطة.

وقد كان الأستاذ مسعود الندوي معجبا بالإمام الشهيد وجماعته إعجابا كبيرا، يتحمس لها ويغار عليها ويدافع عنها، وكنت أذاكره وأتحدث معه في ضرورة القيام بعمل علمي حول سيرة الإمام الشهيد وجهاده وإصلاحه بأسلوب عصري جديد، واتفقنا أخيرا على أن أتولى الكتابة عن سيرته وحياته، ويتول هو الكتابة عن جماعته وحركته.

السفر إلى الطونك:

يقول الندوي: "في هذه الرحلة عندما كنت مقيما مع شيخنا على شاطيء نهر "بناس" الذي لعل الإمام الشهيد وجماعته المجاهدين الأبراز توضئوا منه مرات وكرات، وجلست في وقت الصباح الصافي قبل طلوع الشمس على صخرة ورجلاي في النهر، وكتبت مقدمة "سيرة السيد أحمد الشهيد" وعليها تاريخ مايو عام 1936م، والتي أدرجت في الكتاب بعنوان "نظرة إجمالية على سيرة الإمام الشهيد" ولا أحب هنا أن أتقدم قبل أن أنقل مقتطفا من هذه المقدمة، فإنها تلقي بعض الضوء على مؤلف ناهض ومنهج تفكيره وأسلوب كتابته.

الزيارة الأخيرة للدكتور محمد إقبال:

إلى عام 1934م، 1935م لم يكن لي كبير شغف وعناية بشعر الدكتور محمد إقبال، وما كنت أعرف من دواوينه الشعرية إلا ديوان "بانك درا" الذي كان باكورة دواوينه الشعرية، ولم يكن فيه ذلك السمو الفكري والتحليق المعنوي الذي اتسمت به مجاميع شعره المتأخرة، وكما أسلفت أنني كنت ترجمت قصيدته المعروفة بالقمر، وأنه كان نظر فيها عندي سفري الأول إلى لاهور في مايو عام 1929م.

كان من حسن المصادقة أن الأستاذ مسعود الندوي كان معجباً به كذلك غاية الإعجاب، وأسير أدبه وشعره، فكنا نتناشد شعر إقبال، ونتمتع به ونتذوقه، وكلما رأينا تنويها بشعر طاغور وإطراء له مجلة عربية أو ترجمة لبعض شعره فيها وقد كان ذلك في الأوساط الأدبية في الشرق العربي، حتى أن أديب مصر الشاب الناهض الناقد سيد قطب أيضا كان معجبا به و معترفا بفضله، وكان يرى أن شعره يمثل روحانية الشرق في الشعر والتعبير عن المعاني والحقائق غير المادية والحسية أروع تمثيل وأجمله غاظنا ذلك وأثار فينا سخطا وامتعاضا، وتحمسا لتعريف شعر إقبال في العالم العربي.

بدء محاولة وضع المقررات الدراسية في دار العلوم ندوة العلماء، وكتب جديدة في اللغة العربية والأدب العربي و قواعد العربية:

يبين الندوي أهمية وضع المناهج والمقررات الدراسية من جديد وهو يقول: "لقد كانت حركة ندوة العلماء مؤسسة على وجهة نظر تعليمية خاصة ومطالعات ودراسات، وتجارب معينة، لقد كان القصد منها نفخ روح جديدة في أنظمة التعليم الديني و مناهجه، وتطويرها حسب مقتضيات العصر المتغير، ولا ظروف المتغيرة الطبيعية المشروعة، وكانت تدعو إلى الاهتمام بالفن نفسه أكثر من الكتاب المقرر، وبالمقاصد والغايات أكثر من المباحث الجانبية والقضايا الفرعية، وإحياء منهج المتقدمين الذي كان يغذي الفاطفة والعقل، ويقوم على فكرة ترسيخ العلم وإنشاء الذوق بدلا من النزاعات والخلافات اللفظية، والافتراضات العقلية، وشق الشعرة، وصنع القبة من الحبة، وصرف كل الذكاء والعبقريه في الشروح والحواشي عند المتأخرين، وكانت ترمي إلى تعليم اللغة العربية كلغة حية نابضة يخاطب بها العرب أنفسهم وتكون وسيلة الدعوة الإسلامية فيهم، وتنشأ في طلاب المدارس العربية وخريجيها ملكة الخطابة والإنشاء والتحرير، وقد أنشأت هذه الحركة لأجل هذا الغرض ولتحقيق هذه المشاريع والخطط، وعرض نموذج حي لذلك أمام المدارس الإسلامية في الهند، دار العلوم المركزية التابعة لها في لكهنؤ عام 1312هـ بإسم دار العلوم ندوة العلماء".

وقد كان هذا الغرض يقتضي أمرين:

1. إعداد منهج دراسي يحمل هذه الخصائص والميزات، ويغني عن تلك الكتب التي لا تنفق مع هذا المستوي والغرض.

2. والحاجة الأساسية الثانية هي تربية المعلمين وإعداد المدرسين الذين لاينفقون مع وجهة نظر تلك المؤسسة التعليمية وتصوراتها فحسب، بل يتحسمون للدعوة إليها والتبشير بها، ويقومون من أنفسهم نماذج حية عملية لها.

البحث عن قيادة دينية جديدة وزيارة المراكز الدينية:

كنت لتأثيرات الأسرة والبيئة والانتماء إلى مدرسة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد رزقت حظا لا بأس به من الغيرة الدينية والحمية الإسلامية وقد رسخ في نفسي نظريا وإن لم يكن عمليا، وأصبح جزءاً من عقلي وضميري أن التكبير المدوي في الآفاق، والنضال العلمي لإعلاء كلمة الله أفضل من كثير من توافل الطاعات الصامتة والتسبيح والابتهالات الشخصية في عزلة عن واقع الأمة.

الشيخ الداعية محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله، وصلتي بحركته الدعوية، والنشاطات الدعوية التبليغية:

الزيارة الأولى للشيخ محمد إلياس:

لقد كانت نشأتي وتربيتي الأولى في ظل قصص الدعاة السملمين الأوائل والمصلحين والمجددين، وكان كتاب الأستاذ القاضي محمد سليمان المنصور فوري "رحمة للعالمين" أكثر هذه الكتب تأثيراً عليّ، وقد كان من نتيجة هذا الذوق والوجدان، أنه لما صدر بقلم الأستاذ المودودي القوي البليغ بعد عودته من رحلته إلى "ميوات" مقالة بعنوان: "حركة دينية مهمة" في مجلة "ترجمان القرآن" قرأته مراراً وتكراراً.

بدء العمل الدعوي على أثر عودتي من دلهي في نواحي لكهنؤ، ورسائل الشيخ:

بدأت العمل الدعوي على أثر عودتي من دلهي في نواحي لكهنؤ، وما يجاورها من القرى على نفس المنهج الذي رأيته في ميوات "منطقة النشاط الدعوي الرئيسي"، ولم تكن لي إلى ذلك الحين أي علاقة بأهل المدينة.

وقد كان الشيخ يسر جدا بجهود طلاب العلوم الدينية الدعوية والإصلاحية، وجولاتهم للتثقيف والتوعية بالدين، وبتلك التقارير التي كنت أبعثها عن هذه الجولات، التي فُقد الاهتمام بها، وحلت

محلها الرحلات والأسفار للأغراض السياسية والإقتصادية والشخصية وقد اقتحمت تؤثيرات البيئات الخارجية أسوار المدارس الدينية أيضاً.

الأيام الأخيرة من مرض الشيخ ووفاته:

كنت سافرت إلى حيدر آباد "السند" وكرأتشي وكانت هذه زيارتهما الأولى، وأقيمت فيها إقامة قصيرة، ثم رجعت إلى دلهي، وقد تطور مرض الشيخ، واشتد إلى حد يبعث على القلق والتفكير، وأخيراً دنا أجله الموعود، فلبّى دعوة ربه، وألحق بالرفيق الأعلى، وكان ذلك صباح 11من رجب سنة 1363هـ قبل آذان الفجر بقليل، رحمه الله رحمة واسعة سابغة، "ولعل المسافر اللاعب المكدود الذي لم ينم نومة مريحة طوال حياته نام لأول مرة نومته المطمئنة السعيدة".

رحلتان للحج: عام 1366هـ الموافق 1947م، وعام 1369هـ الموافق 1950م، والرحلة إلى مصر والشرق العربي عام 1951 م، وأسفار ورحلات أخرى من عام 1951م إلى عام 1956م والرحلة إلى الشام ولبنان وتركيا للمحاضرات في جامعة دمشق وأيضا الرحلات إلى بورما والكويت: من عام 1956م إلى عام 1962م.

يبين الندوي عن رحلاته، رحلتان إلى الحج في سنوات المختلفة وكذلك الرحلة إلى مصر والشرق العربي وكذلك أسفار و رحلات أخرى إلى الشام ولبنان وتركيا وسافر إلى جامعة دمشق للمحاضرات ورحل إلى بورما والكويت من عام1956م إلى عام 1962م.

تأسيس "رابطة العالم الإسلامي":

وبنيما أنا في مكة أنتظر الحج إذ جآء شخص ذات يوم يبحث عني وسلّم إليّ رسالة من أحد الأصدقاء القدامى، وأحد أعيان مكة المكرمة الشيخ محمد صالح القزاز، ورد فيها أنه سوف يعقد مؤتمر إسلامي بتاريخ 14 ذي الحجة، وسوف تكون حفلته في القصر الملكي، ويحضرها الملك سعود نفسه، فالرجاء منكم التشريف، وقد عقدت الحفلة في تاريخها المقرر، وقد حضرها الملك إدريس السنوسي حاكم ليبيا وشخصيات أخرى ذات شأن، قد أسست هناك منظمة عالمية بإسم رابطة العالم الإسلامي، واختير الأعضاء المؤسسون كنت أنا منهم وقد اتفق مراراً أن رئيسها الدائم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ شيخ الإسلام بالمملكة السعودية ورئيس القضاة.

ثم يقول الندوي: وتوجهت بعد الحج إلى المدينة المنورة، وانعقدت جلسة المجلس الاستشاري في 22 ذي الحجة، وقد كان في أعضائه صفوة العلماء والمفكرين ورجال التربية والتعليم، ورؤساء المدارس والجامعات من مختلف البلدان، واختير الأستاذ أبي الأعلى المودودي من باكستان الذي بقي عضوا فيه لعدة سنين.

رحلة إلى الخليج العربي:

قمت في شهر محرم 1394هـ الموافق يناير 1974م في عودتنا من مكة المكرمة حيث حضرنا جلسة الرابطة بزيارة قصيرة لأبي ظبي ودبي على دعوة من حاكم الشاركة الشيخ سلطان محمد القاسمي، كان يرافقني فيها الأستاذ سعيد الأعظمي و الأستاذ واضح رشيد الندوي، وألقيت خطابا في الشارقة 5محرم 1394هـ بمسجد علي بن أبي طالب عنوانه مراعيا للوضع الجغرافي للبلاد ب"خليج بين الإسلام والمسلمين" ذكرت فيه أنه كما يقع هذا الخليج بين إيران والبلاد العربي ، وانفصلت به القطعتان من الأرض، كذلك من المؤسف المؤلم أنه قد وقع هناك خليج بين الإسلام والمسلمين، فالتعاليم الإسلامية في واد، والمسلمون الذين يدينون بها في واد، وواجبات المنصب والمكانة والخلافة تتطلب شيئا، وسيرة المسلم ومنهجه ودوره على مسرح العالم تبغي شيئاً آخر، وفصلت القول في هذا إلى الانفصال الشديد الذي هو غير طبيعي، ودعوت إلى العودة إلى الإسلام وسيره المسلمين الحقيقية، وذكرت ما يلحق المسلمين والعالم كله من الخسائر بسبب هذا الوضع الشاذ البعيد عن الفطرة والإصالة.

يقول الندوي : لقد كان الجزء الأول من كتابي "في مسيرة الحياة" قد انتهى على مذكرات رحلتي إلى الإمارات والكويت، التي بدأت في 15من نوفمبر 1983م، وانتهت إلى 11 من ديسمبر 1983م، وكان في النفس شغف كبير بعد ذلك في أن ركب الحياة يواصل مسيرته، والحياة فيها بقية، نظرا إلى ما يتناهي من أمراض وما أعانيه من تعب وإرهاق، وقد بلغت صفحات الجزء الأول 464، فوقفت لذلك قلمي هناك. ([20])

20. الندوي: أبو الحسن علي الحسني، **في مسيرة الحياة**، 7/2.

رحلة إلى عمان شرقي الأردن والحجاز واليمن، خطب ومحاضرات في احتفالات وندوات مؤقرة، مشاهد وانطباعات عن اليمن:

تشتمل على رحلة المؤلف إلى عمان "شرقي الأردن" والحجاز واليمن، خطب ومحاضرات التي ألقاها السيد أبو الحسن علي الندوي في احتفالات وندوات مؤقرة ومشاهدة وانطباعات التي شاهدها في اليمن.

ثم ذكر الشيخ رحلته التاريخية إلى شرق الأردن واليمن ودعوة هذه الرحلة من ولي عهد المملكة الأردنية سموّ الأمير حسن بن طلال وجآءت دعوة مؤكدة إلى المؤلف في أواخر مارس أو أوائل إبريل سنة 1984م، واختار الأستاذ الندوي أستاذ الأدب والتاريخ بدار العلوم ندوة العلماء، ورئيس التحرير بجريدة "الرائد".

ثم سافر المؤلف السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي من دلهي في 23 إبريل 1984م إلى الكويت، وبعد لقاء الأقربة و استراحة في يوم واحد رحل المؤلف إلى عمان لمؤتمر العالمي وألقى السيد ندوي المحاضرة على موضوع "المسلمون في الهند و دورهم التاريخي" وذكر المقالة لشاه ولي الله في إثناء المحاضرة عنوانه: "المقالة الوضيئة في الوصية والفصيحة" ويقول: "نحن رجال غرباء هاجر آباؤنا إلى الهند، وأن عربية النسب وعربية اللسان مفخرتان لنا، وهي التي تقربنا إلى سيد الأولين والآخرين، وأفضل الأنبياء والمرسلين ومفخرة الوجود صلى الله عليه وسلم ، السعيد منا من حصلت له مشاركة في لسان العرب".

وذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان كهف أصحاب أهل الكهف وقال زرنا بعد المؤتمر مع الدكتور رفيق وفاء الدجاني كهف أهل الكهف رلي جبل الرجيب ويعرف ب "كهف الرجيب" وكانت صفاته وخصائصه التي ذكرت في القران الكريم تنطبق عليه وأثبت الدكتور رفيق ذلك أيضا بقرائن وشواهد وأدلة وآثار أخرى، ويميل إليه المقدسي والبيروني وياقوت من المؤرخين المسلمين إلى هذا الرأي أنه هو الكهف المذكور في القرآن، وأيد ذلك المستشرق الفرنسي "كانو" وبعد ذلك ذكر الأستاذ الندوي لقاءاته مع أصدقائه بعمان، منهم الأديب الأستاذ محمد إبراهيم شقرة والأستاذ رضوان دعبول، صاحب مؤسسة الرسالة دار البشير وعدد من كتب الندوي، وهكذا كان لقائه مع الأستاذ كامل الشريف والدكتور إسحاق فرحان وزير الأوقاف والتربية سابقا بالأردن والأستاذ

عمر بهاء الأميري والأستاذ كمال أبا المجد وآخرين من رجال العلم والأدب وبعد الحضور في المؤتمر العالمي ولقاءات مع أصدقائه رحل الأستاذ الندوي إلى الحجاز ومكث أربعة أيام في المدينة المنورة وصلى وسلم على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وبعده لقي طلاب الجامعة الإسلامية وأساتذتها وبعض علماء المدينة المنورة بعد لقاء تأسس رابطة الأدب الإسلامي وكان أول رئيسها وتوجهت الدعوة إلى الأدباء وأصحاب القلم من مراكش والجزائر ودول الإمارات العربية وغيرها ويكون مكتبها الرئيسي بندوة العلمآء ويتول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي مهام الأمين العام للرابطة وفي أثناء لقائه بالشيخ المفتي عتيق الرحمن بواسطة حافظ كرامت تلفونيا، وكان الندوي يحبه كثيراً وقد أثر وفاته أثرا بالغاً على قلب الأستاذ ندوي وبعد ذلك سافر الندوي إلى اليمن مع صديقه عبدالله القادري بدعوة طلاب اليمن ثم يبين رحلته إلى اليمن: "ألا شك أن الشوق والحنين إلى اليمن والصلة بها، وزيارة أرج العلم والإيمان، وأرج النور والريحان، أمر طبيعي يشعر به قلب كل مسلم لما خص الله تعالى به أهلها من الثناء والوصف الحسن على لسان النبوة على صاحبها الصلاة والسلام فقد قال صلى الله عليه وسلم لما جآءه وفد من أهل اليمن: "أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوبا الإيمان يمان، والحكمة يمانية".([21]) وفي رواية أخرى: "والفقه يمان، والحمكة يمانية".([22])

وكان خطاب الندوي الثالث في جامع المشهد أمام جمع كبير استفاد فيه من هذه الحقيقة التاريخية أن قوم سبأ وملكة سبأ كانت لها صلة بأرض اليمن وتاريخها القديم، فقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. ([23])

22. البخاري: أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم الحديث: 4388، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: 1422هـ، 173/5.

23. المصدر السابق، 174/5.

24. سورة سبأ، الآية: 18، 19.

وبعد ذلك لقي الأستاذ الندوي مع كبار مسؤولي الحكومة كان منهم رئيس الدوله علي عبدالله الصالح، الذي دعانا يوم الجمعة على الغداء بقصر الجمهورية، والشيخ يحي الغسيل وذكر علاقته العلمية بأستاذه الشيخ خليل بن محمد اليماني، و عبدالعزيز عبدالغني رئيس الوزراء ووزير الخارجية الصبيحي وعدد من أعجاء البرلمان والقاضي عبدالرحمن محبوب والشيخ يحي لطف الغسيل وبعد الفراغ من لقاءات الشخصية المعروفة ورأى الأستاذ الندوي كتبه الدعوية في اليمن كانت لها أثرا بالغا المعروف منهم الكتاب "إذا هبت ريح الإيمان" وكانت هذه الكتب الفكرية والدعوية التي تغدي العواطف الدينية وتؤثر على التفكير وتبعث على الجهاد في سبيل الدعوة إلى الله وغلبة الإسلام وتثير الشوق والحنين إليها وفي هؤلاء الأستاذ السيد قطب والأستاذ المودودي والأستاذ الندوي، وبعد ذلك الأستاذ الندوي جال لمختلف مراكز اليمن وآثارها التاريخية.

رحلاتي إلى بنغلا ديش وباكستان، ندوات واجتماعات وخطابات ومحاضرات:

تشمتل هذا الموضوع "في مسيرة الحياة" على رحلات الأستاذ الندوي إلى بنغلا ديش وباكستان وندوات واجتماعات و خطابات ومحاضرات. كانت رحلته إلى بنغلا ديش ما بين 19 مارس 1984م قبل سفري إلى شرق الأردن، والحجاز واليمن، وكانت رحلة باكستان بعده في ما بين 24-28 مايو 1984م، وذكر الأستاذ أن صلة حركة الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد وخلفائه وأصحابه ودعوتهم وجهودهم قديمة قوية ببنغال الشرقية.

حركة إحياء الهندوسية الشاملة لعموم الهند:

خطاب تاريخي إلى إنديرا غاندي رئيسة وزرآء الهند، مقتل إنديرا غاندي، وردة فعل في الهندوس ضد السيخ، وبيان موقفي، رحلة مهمة إلى الحجاز، جولة في سبيل نشر رسالة الإنسانية، رحلة إلى إنكلترا وبلجيكا، وحركة الحفاظ علي قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين ومقاومته، ونجاح المسلمين، وجلسة استشارية لرابطة الأدب الإسلامي بتركيا، والإقامة لعدة أيام بكرأتشي وأهم الخطابات فيها، رحلات إلى إنكلترا، الجزائر، والحجاز، والمشاركة في جلسة المركز الإسلامي بأكسفورد، وملتقي الفكر الإسلامي بالجزائر، والإقامة بالحجاز لأيام وأحداث أخرى مهمة، ندوات حوار بدلهي، وناكبور، بونا، ندوات رابطة الأدب الإسلامي.

الجزء الثالث فهو أيضا يحتوي على موضوعات شتى. أما بالنسبة إلى الندوي فهو يقول: "فهذا هو الجزء الرابع لكتابي "في مسيرة الحياة" في أردو، وقد كنتُ ألفتُ الجزء الثالث مرغماً، وذلك لأن الترجمة العربية التي كانت تحتوي علي الجزئين الأولين للكتاب بالأردية حملت رقم الأول خطأ، فطلب مني الناشر الفاضل أن أقوم بتأليف الجزء الثاني لكي لايبدو الكتاب ناقصا، جمعت المواد في اللغة الأردية أولا، لأن الكتاب كان أصلا بالأردية، فأتي الجزء الثلاث إلى حيز الوجود بطبيعة الحال، ووصل إلى أيدي الراغبين فيه، وقد طبع في الهند وباكستان في آن واحد سنة 1988م، وكنت أتردد كثيرا في تأليف الجزء الرابع، وكانت نيتي أنها هذه السلسلة بالجزء الثالث، وماكنت أجد في نفسي حافزا إلى مواصلة هذه السلسلة". ([24])

هكذا يساعد هذا الكتاب الذي لايملك قيمة علمية، أدبية، تأليفية وتحليلية كبيرة، على فهم ما حدث في الهند في النصف الثاني للقرن العشرين، من أوضاع وأحداث، وعواطف وأحاسيس، وتفاعلات وارتسامات، بل على التفاعل مع نبضات القلب، وهواجس النفس، واضطرابات الروح أيضا، ويشعر القارئ كأنه يعيش في ذلك العصر، وفي خضم تلك الأحداث، ويوفر للمؤرخين والمحللين الجدد معلومات ووثائق لم تتناولها الأقلام، ولم تنشرها الصحف والمجلات، إلا الجزء الضئيل منها، وكذلك يستطيع الوطنيون الصادقون والعاملون والمخلصون أن يتعظوا بما جآء في هذه الحلقات الأربع من الحوادث والوقائع و يحترسوا من الوقوع في الأخطاء، وأن تنشأ فيهم الواقعية، والاعتدال والاتزان، وبعد النظر، ورحابة الصدر، التي هي من أشد حاجات هذه البلاد، وهذه الملة التي تعيش بها. ([25])

24. الندوي: أبو الحسن علي الحسني، **في مسيرة الحياة**، 5/3.
25. المصدر السابق، 10/3.